الفصل الأول
علاقة النص بالأسطورة

obeikandl.com

obeikandl.com

النصوص المقدسة

توصل علماء الأديان من خلال دراستهم لعقائد المجتمعات البشرية إلى أن لكل دين نصوصاً مقدسة [٩]، فعقائد المجتمعات الإنسانية، سواء كانت بدائية، أو متحضرة، قامت على أساس نصوص مقدسة تُوَجِّه الإنسان فى حياته، وترسم له أسلوب تصرفه فى محيطه الاجتماعى، وتحدد له علاقته بما حوله من نبات وحيوان وظواهر طبيعية، وذلك بما اشتملت عليه من أوامر ونواهٍ، وما حوته من ترغيب وترهيب، وما تضمنته من مبادئ ينبغى الالتزام بها، وأخرى يجب عليه تجنبها، فلا يقترب منها، إما لكونها مقدسات تأبى طبيعتها أن يقترب الإنسان منها، أو مدنسات يجب عليه الابتعاد عنها حتى لا يصيبه أذاها، أو يتعرض لعقاب إلهى، لو ناله حرمة الاقتراب منها.

لم يكن – و لن يكون – مضمون هذه النصوص واحدة فى جميع الأديان؛ فاختلفت صيغها باختلاف ثقافات المجتمعات الإنسانية ودرجة تحضرها،

---

٩) النص: نَصَّ – يَنُصُّ نَصًّا – الشيءَ: رفعه وأظهره. ونَصَّ الحديثَ: رفعه وأسنده إلى من أحدثه. وكل ما أُظهِرَ فقد نُصَّ. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلاً أنصَّ للحديث من الزهرى، أى أَرْفَعَ له وأسند، يقال: نَصَّ الحديثَ إلى فلان: رفعه.

والنص (جمعه: نصوص): الكلام المنصوص، والنص من الكلام: هو ما لا يحتمل إلا معنى واحداً أو لا يحتمل التأويل. ونص لقرآن ونص السنة: ما دلَّ ظاهر لفظها عليه من الكلام.

المُقَدَّس: قَدَّسَ – قُدْساً وقُدُساً –: طَهَّرَ وتبارك. قَدَّسَ اللهُ فلاناً: طَهَّرَه وبارك عليه. وقَدَّسَ الرجلُ اللهَ: نَزَّهَهُ ووصفه بكونه قُدُّوساً، وقَدَّسَ للهِ: طَهَّرَ نفسه له، يقال: " نحن نسبح بحمدك ونقدس لك.

القُدْس: الطُّهْرُ، ومنه قيل للجنة: حضيرة القدس. وروح القدس: جبريل عليه السلام، وفى الحديث: " روح القدس نفخ فى روعى "، والتقديس: التَّطْهِير، وتقَدَّس: تطَهَّر، والأرض المقدسة: المطهرة. والمقدس فى النصرانية: الحَبْر. حكى ابن الأعرابى: لا قَدَّسَهُ الله: لا بارك عليه. والمقدس: المبارك. وقيل: لا قُدِّسَتْ أمةٌ لا يُؤْخَذُ لضعيفها من قويها، أى لا طُهِّرَت.

[لسان العرب: مادة: نص، وقدس.]

بالإضافة إلى تباين شكلها وصورها، تبعاً للعصر والزمن، فالنصوص المقدسة فى المجتمعات البدائية كانت على شكل رسوم وصور، عبرت عما يريده الإلـــه — طبقاً لاعتقاد البدائى — من الإنسان، فِعْلاً واجتناباً حتى ينال رضاه فيحـــصل على الثواب، أو يتسبب فى غضبه فيقع عليه عقابه، فقد اشتهر بين البـــدائيين أنواع عديدة من الممارسات التى تحميهم من غضب الإله — حسب اعتقادهم — ، ومن أشهرها: تقديم القرابين للآلهة، أو لأولئك الذين يعتقدون أنهم يملكـــون من القوة ما يستطيعون بها حمايتهم من الشرور كالساحر والكاهن وغيرهما ممن أحاطوا أنفسهم بجو من الغموض والأسرار التى خاف البدائى منها، فعمل على إرضائها لحمايته والدفاع عنه.

قد يصل هذا التقديس للأشخاص لدرجة التأليه، وترجع فكرة الإنـــسان " الإله "، أو الكائن البشرى الذى يتمتع بقوى إلهية أو خارقـــة للطبيعـــة — فى جوهرها — إلى تلك الحقبة الأولى من اتاريخ الدينى الذى كان يُنْظَر فيهـــا إلى الآلهة والبشر على أنهم كائنات من نوع واحد تقريباً، وذلك قبل أن يفصل بين الفئتين تلك الهوة الواسعة السحيقة التى ظلت قائمة بينهما فى مراحل الـــتفكير التالية.

وعلى ذلك، فبينما تبدو فكرة تجسد الآلهة فى صورة بشرية غريبة بالنـــسبة لنا، فلم يكن فيها مايدعو إلى العجب أو الدهشة بالنسبة للإنسان الأول الذى لم يكن يعتبر " الإنسان الإله " أو " الإله الإنسان " سوى درجة أعلى وأسمـــى من نفس تلك القوى الفائقة للطبيعة التى ينسبها بكل صدق ويمان إلى نفـــسه هو.[١٠]

١٠) فريزر: الغصن الذهبى صـــ ٣٣٣

obeikandl.com

ولما كانت كلمة الإله عند الإنسان البدائى مواكبة لكل أنشطة الحياة، فقد احتاج مفهومها فى تفكيره إلى الاقتران بشخص، كما هو الحال فى كلمة " مانا "، إذ جاء فى المعجم العلمى الذى ألفه " ف. ر. ليمـــان F. R. Lehmann " أن كلمة: " مانا " يقترب تصورها فى الفكر البدائى من كلمة: " تـــابو "[11]،

١١) كلمة بولينيزية، أصلها فى هذه اللغة: " Tapu"، اكتشفها الرحالة " جيمس كوك James Cook " فى الجزر الواقعة فى المحيط الهادى، وذلك فى عام ١٧٧٧ م، وهى من الكلمات التى يصعب ترجمتها ترجمة دقيقة، ولذا أصبحت مصطلحـــاً علمياً فى الكتابات الأنثروبولوجية، والاجتماعية، ولدى علماء الأديان فى جميع اللغات. ويقصد بها الأشياء المقدسة – وكذلك الأشخاص – التى لايجوز لأحد الاقتراب منها، وإلا عـــرض نفسه للخطر، أو دنس الشعائر التى يمارسها، ولا يقتصر مبدأ التحريم على مجرد اللمس فحسب، بل يتعداه إلى الرؤية والكلام وتناول الطعام. فإن رؤية الأشياء المقدسة محرمة تحريماً تاماً على غير المقدس. وهناك بعض الطقوس عند "الأرانتا Arunta " تفرض على أفرادها صمتاً تاماً، فيحرم الكلام بطريقة حيرية فى الاحتفالات الدينية الكبرى. كما أن هناك بعض الكلمات المعينة التى لاينبغى أن يتفوه بها الأفراد، كأن لايذكر مثلاً اسم الميت فى فترة الحداد إلا همساً، وإذا اقتضت الضرورة. كما تتضمن فكرة التحريم، فكرة القداسة، إذ أن كل ماهو مقدس، يعتبر موضوعاً للتبجيل والاحترام، فيحرم لذلك ذبح الحيوانات أو تناول النباتات المقدسة. [راجع ! إسماعيل ٩٠ – ٩٢]

يرى " NÖLLE " أنها تودى معنى كلمة " Mana" (طاقة سحرية)، إذ يلاحظ كلا المعنيين فـــى تصـــور المقدس (التابو) لدى الشعوب البدائية، ولا يقتصر تحريم الاقتراب على الأشياء، أو الأشخاص المقدسين – لأن لديهم الطاقة السحريـــة أو تكمن فيهم القوة الغيبية –، بل تتناول أيضاً كل ما حرمه الكاهن فى المجتمعات البدائية؛ فتصان حرمة رئيس القبيلة، طـبـقـــاً للعادات والتقاليد الدينية، ويحرم لمس الحائض والنفساء، وكذلك الميت، وإلا لحق الضرر من يخالف هذا. وعليه فيكون معنى (التابو): لايجوز فعل كذا...... أو لاينبغى الاقتراب من كذا، إما لقداسته، أو لدنسه ونجاسته.

ويرى " فرويد Freud" فى كتابه عن " الطوطم والتابو " أن أقرب ترجمة للكلمة هى: " الخـــوف المقـــدس "، لأنـــها تجمع بين خاصية القداسة التى تتمتع بها الأشياء التى تعتبر (تابو)، وبين التحريمات والقيـــود التى تفـــرض علـــى الناس إزاء هـــذه الأشياء (كتحريم لمس الحائض والميت.....إلخ). وتختلف قيود (التابو) عن القيود الرتيبة، فى أنها لاتصدر عـــن أمـــر إلهى، ولكن الناس أنفسهم يفرضونها بأنفسهم،كما تختلف عن النواحى الأخلاقية، فى أنها لاتدخل ضمن نظام متماسك يبرر لنا هـــذه التحريمات، ويبين أسبابها وأصلها، ولذا فإن قواعد التحريم فى (التابو) تُقبَل على علاتها كأمر لامفر منه.

obeikandi.com

ولم يكن السبب فى هذا وجودها فى منطقة المحيط الهادى – كما هو الحال فى كلمة: " تابو" – بل لأنه يتردد ظهورها فى كل الأديان، بأشكال وصيغ مختلفة – كما جاءت فى نصوصها المقدسة –؛ فتصورها عند البدائى يقترن بشخص، ومن هنا لا يمكن للمرء أن يوضحها بدون كائن حى تضاف إليه، فهى مثل الروح لا تنفك فى مفهوم البدائى عن جسم تحل فيه." [١٢]

لم تختف هذه الظاهرة – ظاهرة تجسيد الإله أو المقدس فى شخص – فى عقائد المجتمعات المتحضرة، أى التى قطعت شوطاً كبيراً فى استخدام العقل فى تجريد المعانى، والقدرة على تصور المعانى المجردة، فقد ظلت هذه الظاهرة منتشرة فى جميع العقائد، سواء كانت فى صورتها البدائية أم فى شكلها الحضارى. نراها عند البابلين، والأشوريين والفنيقيين، وكذلك عند الفراعنة الذين تركوا لنا آثاراً حضارية تنبئ عن تفكير سامٍ واستعمال للعقل فى مجالات الحياة المختلفة، بل وجدت صور التجسيد الإلهى لدى الشعوب التى تؤمن بالأديان السماوية؛ فقد صارت الكلمة جسداً فى العقيدة المسيحية، ألا وهو جسد عيسى عليه السلام، إذ لاتختلف عقيدة المسيحيين فيه كثيراً عن ظاهرة تجسيد الإله عند الأديان البدائية. ولا أكون مغالياً إذا قلت: إنها موجودة – ولكن بشكل مختلف – عند المسلمين فى صورة تقديس الأشخاص ورفعها إلى مقام

ويعتقد بعض الأنثروبولوجيين أن (التابو) هو أقدم قانون مكتوب للجنس البشرى. وتحريمات (التابو) تحريمات قاطعة، ولذا فإن خرق (التابو) يستتبع بالضرورة توقيع العقوبة والجزاء ضمنياً، وإن كانت هناك حالات يتولى المجتمع ذاته توقيع العقوبة على المعتدى فيها، على اعتبار أن خرق (التابو) يلحق الأذى، ليس بالشخص وحده، وإنما بالمجتمع ككل، وجعله هو نفسه (تابو)، أى مصدر للأذى، لأن لـ (التابو) القدرة على الانتقال من شيئ لآخر، أو من شخص لآخر.

(انظر: "Nölle" : ٢٨٤، و " فريزر Frazer " ١٣٠)

١٢) شامة: فى علم الأديان صـ ٦١

obeikandi.com

يكان يكون قريباً من مكان الألوهية، لا فرق فى ذلك بين سنة وشيعة، فإذا كان الشيعة قد قدسوا الأئمة ونسبوا لهم العصمة والقداسة، فإن بعض أهل السنة قد قدسوا " الأولياء " وأصحاب الأضرحة، ونسبوا لهم أعمالاً لا يقدر عليها إلا الخالق ﷻ. ولولا وجود القرآن الكريم وحفظ الله لنصوصه من التبديل والتحريف: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ لشاع بين المسلمين ظاهرة تقديس الأشخاص بالدرجة التى هى موجودة عند البدائيين، وربما وصل التقديس لبعضهم إلى مرتبة الألوهية.

تنحدر مياه الأنهار من منابعها صافية نقية، لا تشوبها شائبة، ولا تتعلق بها أوساخ أو أقذار، فلم تمتد إليها يد لتعكرها، ولم تجرف فى جريانها هَوَامّ فتغير لونها، أو طعمها، أو ريحها، فهى صالحة للشرب ولاستعمالات الإنسان المتعددة دون أدنى خوف من نقلها للميكروبات المسببة للأمراض المتعددة لمن يستعملها، غير أنها فى انحدارها من مصابها تجرف معها ما يقابلها من نفايات الطبيعة ومخلفات الإنسان، فتمتزج بها عناصر بيئية، غالباً ما تكون مضرة لمن يستعملها، كما أن من يعيش على ضفاف مجراها يقذف بفضلاته إليها، ويستخدمها فى إزالة ما علق بجسمه أو بثيابه من أوساخ، كما يرمى إليها بمخلفات حِرْفَته، الأمر الذى يجعلها كلما بعدت عن مصابها حملت الكثير مما يغير من صفاتها، فبعد أن كانت نقية صافية تصبح بما علق بها بعيدة عن النقاء والصفاء.... وكلما بعدت عن منبعها أصبحت – تبعاً لنسبية البعد – غير صالحة للاستعمال من جراء ما جرفته معها عبر جريانها من مسببات للعلل والأمراض.

كذلك الأديان تبدأ – على يد مؤسسيها فى الأديان الوضعية، وعلى لسان من أرسلهم الله من الأنبياء إلى عباده فى الأديان السماوية – صافية نقية، فى

مبادئها وقيمها، لا تختلط فيها التصورات الإنسانية، ولا تمتزج فيها الأساطير والخرافات، وذلك فى مجالات متعددة:

١ – **التوحيد**: يقوم الاعتقاد على أساس وحدانية الخالق، القادر، المتصرف فى الكون، وفى حياة عباده، لايشاركه أحد فى ذلك، وليس له والد ولا ولد. ثم لم يلبث الأمر بمرور الزمن أن يظهر على سطح الفكر الإنسانى من يشاركه فى التقديس: ومن يقاسمه فى التأثير – كما يعتقد ذلك العوام ويؤيدهم فى ذلك بعض رجال الدين – على مجريات حياة الإنسان، فظهر " **الإله الإنسان** " فى الأديان الوضعية، إذ " ترجع فكرة " الإله الإنسان" أو الكائن البشرى الذى يتمتع بقوة خارقة – فى جوهرها – إلى تلك الحقبة الأولى من التاريخ الديني التي كان يُنْظَر فيها إلى الآلهة والبشر على أنهم كائنات من نوع واحد تقريباً، وذلك قبل أن يفصل بين الفئتين تلك الهوة الواسعة السحيقة التي ظلت قائمة بينهما فى مراحل التفكير التالية. وعلى ذلك فبينما تبدو فكرة تجسيد الآلهة فى صورة بشرية فكرة غريبة بالنسبة لنا، فلم يكن فيها ما يدعو للعجب أو الدهشة بالنسبة للإنسان المبكر الذى لم يكن يعتبر " الإنسان الإله " أو " الإله الإنسان "، سوى درجة أعلى وأسمى من نفس تلك القوى الفائقة للطبيعة التي ينسبها بكل صدق وإيمان إلى نفسه هو ". [١٣]

كما ظهر "**الإله الإبن**" فى بعض الأديان المنسوبة إلى السماء: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ

١٣) فريزر صـ ٣٣٣

﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ
وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ
أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ۝٣١ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ
أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٣٢﴾ [التوبة: ٣٠ - ٣٢]

لم يكتف اليهود فى مجال تعدد الآلهة بالقول ببنوة عزير ابن لله، بل عبدوا آلهة أنثوية متعددة منها على سبيل المثال:

- الإلهة " عشروت — أناة Astar- Anat " ، وهى ابنة الإلهة "عشيرة " الكنعانية....وكان الكنعانيون يعبدونها إلى جانب "إشتار " (Ishtar) نجمة الصبح (أو العزى).
- " الكروبيم "(Cherubim)، وهى صورة أو منحوتات، ذات أشكال بشرية مجنحة تشكل جزءاً من الهيكل.....

لكن " الكروبيم " وهى منحوتات الملائكة الصغيرة المجنحة، لم تشذ عن هذه القاعدة فقط، بل أصبحت موضوع عبادة خاصة، واستمرت وتطورت حتى عصور متقدمة جداً، ومازال القبَّاليُّون (أتباع طريقة " القَبَّالة " الباطنية السرية شبه السحرية) يعبدونها إلى اليوم. وأحد اليهود المرموقين الذين ساعدوا على بقاء هذه العبادة وتطويرها واستمرارها هو: موسى بن ميمون، الفيلسوف الأندلسى المشهور فى كتابه " دلالة الحائرين ". وأتباع القبَّالة إلى اليوم يراقبون، وهم بحالة من العبادة التأملية، منحوتة تمثل اثنين من " الكروبيم " متعانقين، مخافة أن يدير أحدهما ظهره للآخر، وهى علامة شؤم للعالم أجمع.

- " الشخينة " (Shekhina) من مصدر " شخن " أو سكن، أى مسكن الله، وقد جعل منها التلموديون، ومن بعدهم القبَّاليون

إلهة أنثى، وهى تشكل أحد أركان " القبَّالة " حتى يومنا هذا.

- " رباعية القبَّالة " (Tetrad)، وهى تطوير تأملى لاسم الجلالة الرباعى، " ى ه و ه "، وتتألف هذه الرباعية من "عائلة" الله، أى الأب، والزوجة، والابن، والابنة، وهى جزء مهم من القبَّالة اليهودية، إذ تعتبر الآلهة " القبَّالة " الرئيسية، وللقبَّالة أتباعها حتى اليوم.
- " ماترونيت " (Matronit)، وهى كلمة مشتقة من (Matron)، أى السيدة أو الشفيعة. وهى الإبنة، أى الإلهة الرابعة لدى القبَّاليين، وهى تمثل الطهارة والاختلاط الجنسى والأمومة والحرب.
- " ليليت " (Lilith)، وهى مأخوذة من مجمع آلهة السومريين، وهى تمثل الشر. وقد دانت عبادتها، أو الاعتقاد بها لدى القبَّاليين واليهود الحسيسم (أى المتزمتين) حتى قرننا هذا. والاعتقاد بها اليوم هو نفسه تماماً كما كان لدى السومريين فى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، دون اختلاف يذكر.
- " السبت " أو " السابات " (Sabbath)، أى نهار الراحة الأسبوعى، وقد جعل بعض فئات اليهود منه إلهة تمثل الجنس والعلاقات الجنسية.[١٤]

كما وجد فى البعض الآخر: الولى، والإمام، والمقدس، ومن يدعى أنه قادر على صنع المعجزات، وذلك كله تراكمات الفكر الإنسانى على الدين عبر القرون. ومما ساعد على ذلك أن الإنسان بطبيعته الإنسانية يميل إلى أن يرى

١٤) ديب صـ ٤٨ - ٥١

الإله مجسماً، لأن التصور المجرد عن التجسيم يحتاج إلى قدرة فكرية خاصة، ليست موجودة عند معظم أفراد المجتمعات الإنسانية، ولذلك ظهر تجسيد الإله على اختلاف فى الأشكال والصور، فبعضهم تصوره فى ظواهر الكون المتعددة، والبعض الآخر فى إنسان يمشى على الأرض أو أصنام وأوثان، فإذا اعترضت على هذه الظاهرة قوبلت بتفسيرات وتأويلات بعيدة عن الفكر السوى، مثل: كلمة الله تجسدت فصارت إنساناً، أو أنهم وسيلة نتقرب بها إلى الله، ولم يخرج هذا عما قاله كفار قريش: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ۝٣﴾ [الزمر: ٣]

كما ظهرت هذه الظاهرة فى صورة أخرى فى بعض مجتمعات التوحيد، فقُدِّس الموتى فى القبور، كما رُفِع الأولياء إلى مقام الألوهية، وأوحى بعض الأدعياء إلى العامة بأنهم قريبون من المولى ﷻ، فهم مُقَدَّسون لا يرد الله لهم دعاء.

عمق موقف بعض رجال الدين هذه الظاهرة بتفسيرهم لبعض آيات القرآن الكريم بما يوحى لمن يسلك هذا السلوك بأنهم ينفذون ما أمر الله به، وبهذا أضافوا هذا السلوك البعيد عن قيم الدين وتعاليمه إلى النصوص المقدسة، مما دعا العامة إلى ممارستها ظناً منهم أنهم يمارسون ما أمر الله به، وساعد بعض رجال الدين على غرس هذا المفهوم فى نفوس المتدينين عدم تسجيل النصوص الدينية كتابة، بل كانت تنقل شفاهاً مما سهل دخول ما يريده علماء الدين والمنتسبون إليهم إلى هذه النصوص، فأصبحت هذه الظاهرة التى تنافى التوحيد قضية دينية مسلمة بنصوص، ومدعمة بآراء من يتلقون منهم تعاليم الدين....حتى دخلت هذه الظاهرة فى المجتمعات الدينية التى تؤمن برسالة سماوية، فقال اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، ولم يسلم المجتمع الإسلامى من

ظهور هذا فى سلوك المسلمين، على لرغم من سلامة القرآن الكريم من التحريف والتبديل، إذ عندما مالت صبيعة المجتمع الإسلامى إلى تجسيد المقدس، ظهر هذا الاتجاه بين المسلمين فى صورة تقديس قبور آل البيت، فاندفع بعض علماء الدين وراء انسياب هذه الظاهرة فى المجتمع، فبحثوا عن نصوص تؤيدها، فوجدوا فى القرآن الكريم مايساعدهم على تأييدها والدفاع عنها، إذ فسروا قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى: ٢٣] بأن المسلم يجب عليه أن يتمسح بقبور آل البيت، كى يُغْفَر له ذنوبه، ويدخل الجنة، وإلا فيأتى يوم القيامة مكتوب على جبينه: " آيس من رحمة الله "، بل إنهم كفروا من يجافى آل البيت.[١٥]، وغفلوا، أو تغافلوا رأى من قال: إلا المودة فى القربى، أى إلا أن تحبوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح.

لم يقتصر الأمر على تقديس قبور آل البيت، بل شمل التقديس أيضاً من سموهم " أولياء الله "، فشدوا الرحال إلى هذه القبور وقدموا لها النذور، فذبحوا على أعتاب قبورهم الذبائح مثل ماكان يفعل البدائى لمن كان يقدسه ويرفعه إلى مرتبة الألوهية، ولم يعوزهم الدليل – على ما يفعلون من ممارسات بعيدة عن تعاليم الدين وقيمه ونقاء عقيدة التوحيد فيه – من القرآن الكريم ففسروا قوله

١٥) روى أن رسول الله ﷺ قال: " من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد مات يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح الله له فى قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: " آيس من رحمة الله "، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة ". [لزمخشرى جـ ٤ صـ ٢١٤-٢١٥]

تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢]، بأن الأولياء هم الذين يُذْكَر الله برؤيتهم، ثم يذكرون رواية عن عمر ﷺ يقول: " سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إن من عباد الله عباداً ماهم بأنبياء، ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم!!!!!...**"[١٦] بل وصل الأمر إلى رفع مقام " الولاية "، فقالوا: " إنها جزء من النبوة "، بل وضعها بعضهم فى مقام أرفع من ذلك، متجاهلين أن الله عرفها فى الآية التى تليها تعريفاً لايتنافى مع العقل، ولا يتجاوز وضعهم كبشر مثلهم مثل غيرهم من الناس، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣]، فلم يخرجهم عن طبيعتهم البشرية، ولم يرفع مقامهم إلى أعلى من كونهم أناساً آمنوا واتقوا.

٢ - **البساطة والسهولة**: يتركز الهدف الرئيس للتعاليم الدينية على تقويم سلوك الإنسان، والمحافظة على ما يتعلق به من: نفس، وعقل، ومال، وذرية، ولهذا كانت التعاليم الدينية فى بداية ظهور أى دين لا تخرج عن هذا الإطار، فكانت بذلك بسيطة وسهلة، لا يجد الإنسان فى الالتزام بها مشقة، فهو يمارس طقوسه بسهولة، فليس فيها تعقيد، ولا تتضمن ما يرهقه، أو ما تعجز قدرته عن القيام بها.... لكن رجال الدين والسحرة أرادوا السيطرة عليه، ومراقبة كل حركاته وسكناته فى الحياة العادية، فأوهموه بأنه لا يكون متديناً حقاً إلا إذا نفذ ما يأمرونه به، فشرَّعوا له طقوساً فى كل مناحى حياته، وفرضوا عليه – باسم الدين – ممارسات يلتزم بها فى كل خطوة يخطوها، وفى كل عمل يقوم به من وقت قيامه من النوم صباحاً حتى ذهابه إلى الفراش مساءً، مع فرض تقديم

---

١٦) الزمخشرى جـ ٢ صـ ٣٤٣، راجع الحديث فى صحيح ابن حبان جـ ٢ صـ ٣٣٢ رقم ٥٧٣

القرابين عليه فى كثير من أعماله اليومية.

ولما كانت الطقوس لازمة أساسية من لوازم الدين، إذ لا يوجد دين بدون طقوس [١٧]، فقد ركز الساحر والكاهن على إقناع المتدينين بأن عقيدتهم لا تكتمل إلا إذا قاموا بالطقوس التى يشرحونها لهم، فطفقوا يزيدون فيها حتى تخللت فى كل حركة - أو سكون – يقوم بها المتدين، وإن لم يفعلها يعتبر غير متدين (أو كافر)، واستطاعوا بذلك السيطرة على العامة بما أوهموهم به بأن الطقوس من الأمور التى يلزم القيام بها، وإلا حلت عليهم اللعنة، وبهذا كُبِّل الإنسان بأوامر ونواهٍ فى كل حياته، حتى أصبح فى بعض الأحيان عاجزاً عن القيام بها، وذلك مخالف لفلسفة الدين فى حياة الإنسان.

لم يخل مجتمع الكتب السماوية من هذه الظاهرة، فقد مارس رجال الدين فى هذه الأديان نفس الدور الذى قام به الكهنة والسحرة فى الأديان البدائية، حيث فرضوا سيطرتهم على المؤمنين، وذلك بمطالبتهم بأعمال تجعلهم متعلقين دائماً بمن يبين لهم هذه التعاليم التى لها دخل فى كل أعمال الإنسان اليومية كتبوها بأيديهم وأوهموهم أنها من عند الله، سواء منه مايتعلق بالطقوس والعبادات، أو تخلل فى أعمالهم اليومية...حتى وصل إلى المعاشرة الجنسية، فقد أكسبوها قيمة دينية، خاصة إن تمت بعد دخول يوم السبت، فتقام وليمة طويلة جداً مساء يوم الجمعة، تتخللها ألوان مختفة من الطعام والمشروبات، وصلوات وأناشيد موجهة إلى إلهة " السابات " التى تتمثل العروس بها، وتنتهى هذه الوليمة عند منتصف

---

١٧) يقول " سانت جيمسSaint James ": " إن العقيدة التى لا تدور حولها أى شعائر أو طقوس تموت، لأنها تكون وحيدة ومنعزلة "، ويقول آخر: " إن المرء لا يكون متديناً إن لم يكن سلوكه خاضعاً – بشكل ما – للخوف من الله أو حب الله. ومن ناحية أخرى فإن الشعائر والطقوس المجردة من كل اعتقاد دينى لا يعتبر ديناً ". [فريزر صـ ٢١٨].

obeikandi.com

الليل، وهو الوقت المحدد " تلمودياً " للمعاشرة.

ونجد فى بعض كتب التعاليم الدينية المعاصرة نماذج من هذه الصلوات والأناشيد الموجهة للإلهة " السابات " اخترنا منها خاتمة أنشودة الزوج قبل ولوجه مخدع الزوجية، حيث تنتظر عروسه:

ما أحلى رُقادِك أيتها الملكة " السابات ".

فلنسرع نحوك، تعالى، أيتها العروس المختارة.[١٨]

وهكذا تسللت طقوس وعبادات لم تكن موجودة فى بداية ظهور الدين، ولم يأمر بها موسى عليه السلام. سجلها علماء الدين اليهودى فيما سموه: " التلمود "[١٩] التى أكسبوها سلطة تشريعية تفوق سلطة التوراة نفسها، فهى تعتبر سلطة إلهية

---

١٨) ديب صـ ٥١

١٩) ينقسم التلمود إلى جزأين هامين:

١. " المشناهMishnah " ، وهو الأصل (المتن).

٢. " جمارا Gemara "، شرح مشناه.

ومشناه: أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة. جمعها " يهوذا هاناسىJuda Hanasi " فيما بين ١٩٠ و ٢٠٠م أى بعد قرن تقريباً من تدمير تيطس الرومانى الهيكل.

أما " جمارا " فاثنان: جمارا أورشليم (فلسطين)، وجمارا بابل.

جمارا أورشليم (أو فلسطين) هو سجل للمناقشات التى أجراها حاخامات فلسطين (أو بالأخص علماء مدارس طبرية) لشرح أصول المشناه، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام ٤٠٠م.

وجمارا بابل هو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناه، دونها علماء بابل اليهود، وانتهوا من جمعه سنة ٥٠٠م تقريباً.

فمشناه مع شرحه جمارا أورشليم يسمى " تلمود أورشليم "، ومشناه مع شرحه جمارا بابل يسمى " تلمود بابل ". وكلاهما يطبع على حدة.

أى أن المشناه: هو خلاصة " القانون الشفهى " (OraL Law " الذى تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسيين، التابعين لأهواء النفس، ونشطت حركتهم بعد ظهور عيسى بن مريم عليه السلام مما أدى أخيراً إلى تسجيل المبادئ التى قامت عليها دعوة الفريسيين. [خان صـ ١١ – ١٢ نقلاً عن: " Jewish Encyclopaedia نيويورك: ١٩٤٨، جـ ١٠ مادة: " التلمود "]

عند اليهود الأورثوذكس (مستقيمى العقيدة)، ومن هنا تعتبر (تعاليم) التلمود إلزامية وثابتة غير متغيرة. أما اليهود المحافظون والإصلاحيون فلا يقبلون السلطة الإلزامية الكلية للتلمود، رغم اعترافهم بالدور العظيم الذى لعبه التلمود فى تحديد وحسم عقائد اليهودية أو نظرياتها.

أما القانون الشفهى، ويسمى بالعبرية: (TORAH SHEBEPAL PEH) فجزء من القانون اليهودى المعترف به، غير موجود فى التوراة، اختلقه الحاخامات بحجة تنظيم الحياة والمعاملات الداخلية لليهود لزيادة تماسكهم وتسلطهم على المجتمع بالتالى.

وقد ابتدع حكماء اليهود، ابتداءً من الفريسيين قوانين أخرى مروية عن موسى (كما يزعمون) غير تلك المدونة فى التوراة، وسموها بالقانون الشفهى، زاعمين أنه حيث أن موسى لم يكتب هذه القوانين، فلا يجوز لأحد كتابتها، وكان الحاخامات يتناقلونه سراً من جيل إلى جيل. وبعد التمرد اليهودى الفاشل على اليونانيين سنة ١٣٥م ميلادية بقيادة "باركوخبا Barkochba " بدأ اليهود يجمعون هذه القوانين السرية فى كتب " التلمود " خشية ضياعها." [٢٠]

وهكذا أدخل الحاخامات إلى الدين ما ليس منه، وصدق الله إذ يقول:

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩]

جاء عيسى بن مريم عليه السلام ليكمل الرسالة الذى نزلت على موسى عليه السلام: " مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ * فَإِنِّى الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ

٢٠) خان صـ ٢٩ – ٣٠

لَا يَزُولُ حَرْفٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ." [٢١]، فرسالته لم تكن تشريعاً، ولكن دعوة إلى أخلاق اختفت من المجتمع اليهودى، فلم يشرع قانوناً، و لم يفرض عبادات، بل دعا قومه إلى التحلى بالأخلاق الحميدة، وعدم الالتزام بما فرضه كهنة اليهود عليهم، مدعين أنه مروى عن موسى عليه السلام، ولذلك كانت دعوة عيسى بسيطة وسهلة، يستطيع كل إنسان الالتزام بها دون مشقة أو حرج، لكن من نصَّبوا أنفسهم أوصياء على رسالة المسيح، كونوا مؤسسة دينية، لها من القداسة مافاق قداسة الأنبياء، ولها من المصداقية فى المرجعية الدينية ما تخطى وحى الله، فبدءوا يصدرون قرارات كنسية غير قابلة للنقد أو الاعتراض عليها، لأن لها من القوة الإلهية – حسب زعمهم – ما يساوى وحى الله، فقدسوا رئيسهم " البابا "، وأوهموا العامة أنه يتلقى الوحى من روح القدس، فقراراته لا تُنْقَض، ولا يصح الرجوع عنها، حتى من "البابا" نفسه، وإلا كان مغيِّراً لوحى جاءه من الله عن طريق الروح القدس. فما يتلفظ به، وما يأمر به وحى يجب على المؤمنين الالتزام به، وإلا حلت عليهم لعنة الله. وليس هناك قوة على ظهر الأرض تستطيع أن تجبر " البابا " على الرجوع عن أمر أصدره، أو تحمله على الاعتذار عن إساءة لحقت بأى طائفة من جراء ما صرح به.

ضيقت قرارات الكنيسة على المسيحيين فى شئون حياتهم فى مجالات عدة، من أشهرها علاقة المرء بزوجته، فلم تعترف بطلاق إلا لعلة الزنى، فمن يطلق لغير هذا السبب لا يعترف بطلاقه وبالتالى لا يستطيع الزواج مرة أخرى، وفى هذا حرج ومشقة على كثير من أتباع هذا الدين. ويعتبر هذا تشدداً لم يكن فى

---

٢١) متى ٥: ١٧-١٨.

بداية هذا الدين [٢٢]، بل تسرب إليه عبر القرون بواسطة رجال الدين.

لقد كثرت الطقوس [٢٣] فى الفكر الدينى المسيحى على يد رجال الدين؛ مدعين أن ممارسة هذه الصقوس انحدرت إليهم من العهد القديم، مثل: طقس إبرهيم وإسحاق ويعقوب بالنسبة لتقديم لذبائح، وطقس ملكى صادق الذى استخدم الخبز والخمر (على مثال السيد المسيح)، وطقوس الشريعة الموسوية التى أمر بها الرب موسى. ولم يقتصروا على هذه الطقوس التى انحدرت إليهم — كما يزعمون — من العهد القديم، بل أضافوا إليها طقوساً من العهد الجديد كطقس الختان. وزعموا أن السيد المسيح قد خضع لطقوس العهد القديم، فقدسها بممارسته لها، وختمها بطقس الختان (لوقا ٢: ٢٢ — ٢٥)، وأمر الأبرص بإتمام طقوس التطهير لدى الكاهن (متى ٨: ٤)، وعلم تلاميذه أموراً كثيرة بخصوص الخدمة والقداسة (أعمال الرسل ١: ٣). ولما أراد أن يبارك الأطفال وضع يده على رؤوسهم ليباركهم (متى ١٩: ١٥)...... وكذلك ممارسة أسرار الكنيسة تتم بصورة ملموسة (محسوسة)، ففى المعمودية لابد من التغطيس فى الماء المُصلَّى عليه وفى سر الميرون و سر مسحة المرضى [٢٤] لابد

---

٢٢) انظر كتابنا: Zu fragen der Frau im Islam

٢٣) الطقس " rite ": كلمة يونانية " تاكسيس taksis " بمعنى نظام وترتيب، وفى الاصطلاح الكنسى: نظام وترتيب القائمين بالخدمة الكهنوتية والصلوات العامة والخاصة، وترتيب وإقامة أسرار الكنيسة السبعة (مثل استخدام الخولاجى فى القداس) وصلوات التبريك والتدشين والتكريس والرسامات والتنجيز والابتهالات وشكل الكنيسة ورتب الكهنوت وملابس الخدم. [St. takla.org]

٢٤) الميرون ومسحة المرضى من أسرار الكنيسة السبعة، وهى: ١. سر المعمودية، ٢. سر الميرون، ٣. سر التوبة والاعتراف، ٤. سر الافخاريستا (التناول)، ٥. سر مسحة المرضى، ٦. سر الزيجة، ٧. سر الكهنوت. والميرون كلمة يونانية، معناها الزيت الذى يدهن به الشخص، ويكون لحلول الروح القدس فيه بمواهبه ونعمه، وبركاته. وفى سر مسحة المرضى تصلى الكنيسة من أجل روحانيات الإنسان قبل جسده فى جمعة ختام الصوم.

من المسح بالزيت وكذا فى التناول. [St   talka.org]، وغيرذلك الكثير من الطقوس التى أدخلها رجال الدين على العبادات النصرانية [٢٥] ومن أشهر ما ابتدعه: الرهبانية، يقول تعالى:

﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد: ٢٧]

فهم كانوا مثل رجال الدين فى كل الأديان، يضيفون إلى العبادات والممارسات الدينية أموراً لم تكن موجودة فى بداية ظهور الدين، وذلك بدافع الاحتياط فى الدين، أو لربط الإنسان فى كل تحركاته الحياتية بهم حتى يسيطروا عليه سيطرة كاملة.

٢٥) فإذا استعرضنا الصلاة عندهم، وجدناهم فرضوها لأنواع ومقاصد عدة منها: صلاة التعبد والخضوع مقابل الإحسانات التى يقدمها الله للإنسان، وهى صلاة الشكر، وصلاة لطلب البركة، كى يبارك الله فى ثمار الأرض والمحاصيل، وصلاة لطلب المعونة فى الحرب، والصلاة طلباً للمعونة فى المرض، وصلاة لطلب المعونة فى الأحزان، وصلاة للشفاعة. [St. takla.org]

obeikandl.com

الخرافات

الخَرَف: فساد العقل من الكبر، وقد خَرِفَ الرجلُ يَخْرَفُ خَرَفاً، فهو خَرِفٌ: فسد عقله من الكِبَر، والأنثى: خَرِفَةٌ، وأخْرَفَهُ الْهَرَم، قال أبو النَّجْمِ العِجْلِيُّ:

أقبلت من عند زيادٍ كالخَرِفُ * يَخُطُّ رِجْلاىَ بِخَطٍّ مُخْتَلِفُ

والخرافة: الحديث الباطل مطلقاً، وقيل الحديث المستملح من الكذب، وقالوا: حديث خرافة [٢٦]، وخَرَّفَ: نسبه إلى الخَرَف.

والخرافة: هى عدم التفكير العلمى، إذ لاتبنى على تفكير عقلى ولا مبدأ منطقى، ولا تخضع لقياس علمى، فلا يؤمن بها العلماء، ولا يقبلها المثقفون، بل يستسهلها الجهلة، والمنكرون للبحث العلمى والتجارب المعملية.

وهى قصص وحكايات تعودت النساء فى سائر أنحاء العالم أن يحكينها للأطفال فى السمر أثناء الليل، وقد يحفظ الأطفال عنهن هذه القصص فيقصونها لبعضهم البعض.

فالخرافات الشعبية هى مجموعة من القصص، وهى أيضاً سلوك بشرى من التقاليد الشعبية، يتمثل فى عادة قصّ تلك المجموعة من القصص للأطفال أثناء الليل، وممارسة النساء بالذات لمهمة قصّ وحكاية تلك القصص. فالخرافات الشعبية هى بصفة عامة مجموعة من القصص والحكايات تُحْكَى وفق سُنن وأحكام بعينها، فهى حكايات وصلت إلى رواتها بواسطة الحديث والسماع، فحفظوها ونقلوها بواسطة الحديث إلى جمهور آخر من المستمعين، وهذا

---

٢٦) ذكر ابن الكلبى فى قولهم: حديث خرافة، أن خرافة من بنى عُذْرَةَ، أو من جُهَيْنَةَ اختطفته الجن، ثم رجع إلى قومه، فكان يحدث بأحاديث مما رأى يعجب منها الناس، فكذبوه، فجرى على ألسنة الناس.

الجمهور بلّغها بدوره بواسطة الحديث والكلام إلى مستمعين آخرين، وهكذا ظلّت الأجيال المتعاقبة من الناس تتداول هذه الحكايات وتتوارثها بهذه الطريقة الجيل بعد الجيل. [٢٧]

انتشرت الخرافات بين الشعوب، فكانت الطبيعة ساحة قتال لكائنات خارقة، خيِّرة أو شريرة، تسكن أجساد البشر ونفوسهم، أو تسكن الأشجار والغابات والأنهار والرياح أرواحاً محببة، أو تدخل الكائنات الحية ملائكة أو شياطين أو تجوب الهواء عفاريت خبيثة وليس من هذه الأرواح ما يخضع لقانون لا يمكن خرقه، أو يمكن حسابه: فأى روح منها يستطيع أن يدخل بطريقة معجزة فى حركات الأحجار، أو النجوم، أو البهائم، أو البشر. وكانت الأحداث التى لا تنجم بشكل مرئى عن المسلك الطبيعى، أو المنتظم للأجسام أو العقول، تنسب لهذه القوى الخارقة التى تقوم بدور غامض خفى فى شئون هذه الدنيا، ينذر بشيء، أو ينبئ بخير، أو يتنبأ بالمستقبل. وكل الأشياء الطبيعية، وكل الكواكب وسكانها، وكل الأرواح والمجرات، إن هى إلا جزر لا حول لها، ولا قوة فى بحر خارق للطبيعة.

ومن الملاحظ أنها تجد صدى لدى الغالبية العظمى من الشعوب، فمن مظاهرها التى تسيطر على عقول العامة، وكثير من العلماء والمثقفين: السحر، ومس الجن، وقراءة الطالع، وعمل الأحجبة، والرقية، والأعمال السفلية، وغيرها من المسميات المنتشرة فى قطاعات كبيرة من المجتمعات الإنسانية.

دفعت غريزة الخوف فى طبيعة الإنسان إلى الاعتقاد فى هذه الظواهر، لأنه يخاف من المجهول، لاعتقاده أنه يحمل الشر له، ذلك الشر الذى قد يسلبه

---

٢٧) بن حمادى: دراسات فى الأساطير والمعتقدات الغيبية صـ ١٢٢ - ١٢٣

سعادته، أو يدمِّر حياته تدميراً كلياً، ولهذا نراه يتعلق بأى شيء يوهمه بالحماية من ذلك المجهول، أو يُؤَمِّن له مستقبلاً أكثر هناء وسعادة، أو يخلصه مما أصابه من آلام، أو ألمَّ به من منغصات، فهو يصدق العرافين، لأنهم يوحون إليه بأمل مشرق ووعود تريح أعصابه، وتحميها من ضغوط الخوف والترقب لما يأتى به الغد، وتخفف من القلق الذى يعتريه، كلما فكر فيما قد يحمل إليه الغد من أحداث، قد تنغص عليه حياته.

ولهذا اعتقد فى كل ما يريحه من خرافات وأساطير، فاستغل كثير من رجال الدين هذا الجانب الإنسانى، فاندفعوا إلى إقناع الإنسان بهذه الخرافات بغية التربح بالمال. ودفعهم رغبتهم فى إدرار المزيد من المال إلى خداع المزيد من البسطاء المُغَيَّبين؛ فبدلاً من الذهاب إلى الطبيب – عند الإصابة بأى نوع من الأمراض – يذهب إلى رجل الدين، ليستخدم " الزيت المقدس"، أو " التراب المقدس "، أو " الماء المقدس "، أو أى شيء يتم تقديسه حسب زعمهم. ونسى هؤلاء أن السيد المسيح طرد تجار الدين ومروجى فكر الخرافة خارج الهيكل (مكان العبادة)، وقال لهم قولته المشهورة: " بَيْتِي بَيْتُ الصَّلَاةِ يُدْعَى، وَأَنْتُمْ جَعَلْتُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ "[٢٨]

انتشرت الخرافة فى المجتمع اليهودى، وأخذت صوراً متعددة، منها على سبيل المثال:

التبرك بالمزوزا:

يضع اليهود المتدينين منهم قطعة من الحديد يثبتونها على إطار الباب الرئيسى للبيت من الداخل، يسمونها: " مزوزا " – وليس لها ترجمة عربية – يتبركون

---

٢٨) متى ٢١: ١٣.

بها، وذلك بأن يضعوا يدهم عليها عند الدخول. وإذا نظرت إلى " المـزوز' " لاتجد عليها من الكتابة سوى اسم الله... حيث أن التوراة تطلب صراحة مـن اليهودى أن يضع اسم الله فى مدخل بيته، وبعتقد اليهود أن هـذه بمقـدورها حماية البيت من قوى الشر.

القط الأسود:

يتشاءم اليهود من رؤية قط أسود، ففى اعتقادهم أن رؤية قط أسود تجلب سوء الحظ، فإذا رأى اليهودى قطاً أسود، فإن عليه أن يبصق مرة واحـدة فى الاتجاه المعاكس لاتجاه سير القط.

الحذاء المقلوب:

ينفر اليهود من رؤية الحذاء المقلوب، إذ من غير المستحسن عندهم أن يواجه قاع الحذاء السماء، فكأن الحذاء المقلوب " يمارى " (أى يعكس كمرآة) مافى السماء، وما فى السماء أجَلّ من ذلك.

المقص:

المقص يستعمل فى قص الأشياء وقطعها، فهم يعتقدون أن تـرك المقـص مفتوحاً فى البيت قد يسبب نشوب الخلافات العائلية.

المرآة المكسورة:

على المرآة تنطبع صورة المرء، و نكسار المرآة إذن قد يعنى انكسار الصورة، أو الصور التى تنطبع عليها، وتحطم المرآة فى البيت ليس بالعلامة الإيجابيـة فى عرف اليهود، إنها تدل على حدوث مكروه.

المرور فوق الأرجل:

لايستحسن المرور فوق جسد شخص نائم، أو من فوق رجلـى شـخص

ممدوتين، سواء كان نائماً أم لا، خصوصاً إذا كان هذا الشخص طفلاً، فإن هذا قد يؤدى إلى توقف نموه.

السُّلّم:

ممنوع المرور من سلم منصوب، لأن هذا — فى عقيدة اليهود — يجلب الحظ السيء.

القهوة:

حين لا تجد ملعقة تحرك بها كأس الشاى الموضوع أمامك، فإنك قد تسعى إلى تحريكها بسكين أو شوكة أو قلم. لا تفعل ذلك ! إلا إذا أردت ألا تتزوج فى السبع سنوات القادمة، هكذا يعتقد اليهود. ومثل هذا العقاب يتلقاه — طبقاً لاعتقادهم — من يجلس عند زاوية الطاولة، إذا قعد أمامها.

الدق على الخشب:

الدق على الخشب عادة تتخطى حدود اليهودية، فالعرب يدقون أيضاً على الخشب من أجل منع الحسد، ومن أجل إبطال لعنة قيلت، وهذا هو الهدف من الدق على الخشب فى التراث اليهودى.

رِجْل الأرنب:

يعتقد اليهود أن وضع رجل الأرنب فوق قلادة معلقة بسلسلة كافٍ لصنع العجائب.

العدد ١٣:

التشاؤم من العدد ١٣ موجود عند الغربيين، وقد أخذ عنهم اليهود هذا التشاؤم الأعمى، ويقال: إنه فى انجلترا يتجاهلون تماماً العدد ١٣ ففى البناية التى فيها أكثر من ١٣ طابقاً يتجنبون تسمية الطابق ١٣ برقمه، فلا أحد يرغب فى العيش فى الطابق رقم ١٣ فى بناية. وإذا صادف أن كان يوم ١٣ من الشهر

هو يوم جمعة، فإنه يكون يوماً مشئوماً عندهم. وينقسم اليهـود إلى قـسمين بشأن العدد ١٣، فالمتأثرون بحضارة أوروبا وتراثها يتشاءمون من العدد ١٣، أما غيرهم من المتدينين فإنهم يرون فى العدد ١٣ عدداً عادياً بل بالعكس إن " البار متسفا "، وهو عيد بلوغ الفتى اليهودى تُعمل عندما يكون عمر الفتى هـو ١٣ سنة.

لا للرجوع:

من المكروه الرجوع إلى البيت لأخذ غرض نسيتموه، بعد أن خرجتم مـن الباب إلى الطريق الرئيسى، هذا يجلب الحظ السيء، فمن الضرورى أن يقـوم المرء المضطر إلى العودة إلى عمل شيء قبل الدخول من جديد إلى البيت، كأن يعيد ربط حذائه أو أى شيء من هذا القبيل.

وغير ذلك الكثير من الخرافات ن الفكر اليهودى.

إن مشكلة الفكر الخرافى تكمن فى نفوس بعض رجال الدين الذين يبتـذون أموال الـمُغَيَّبين، هؤلاءالذين ينشرون الفكر الخرافى تحت مظلة دينية من أجل مزيد من التابعين " المسطولين " المحتاجين دائماً لحلال المشاكل، يجـرون وراءه دافعين كل ما هو ثمين ونفيس من عقولهم وحياتهم وأرزاقهم، لتـزداد ثـروة هؤلاء الدجالين النصابين.

الأساطير

سَطَّرَ: أَلَّفَ الأساطير، والأسطورة: الحديث الذى لاأصل له، ويقال: إنْ هذا إلا أساطير الأولين، أى مما سطروا من أعاجيب أحاديثهم. وسَطَّرَ علينا: إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل.

الأسطورة: هى القصة المقدسة التى كان أصحاب الحضارات السابقة يؤمنون بها على أنها كتابهم المقدس. وتتميز الأسطورة بعمقها الفلسفى الذى يميزها عن (الليجندة) مثلاً، أو الحكاية الشعبية. كانت الأسطورة فى العصور القديمة مسلماً بمحتوياتها مثل تسليمنا الآن بالعلم، وفى معظم الأحيان تكون شخوص الأسطورة من الآلهة، أو أنصاف الآلهة، ووجود الإنسان فيها يكون مكملاً فقط. تحكى الأسطورة قصصاً مقدسة تبرز ظواهر الطبيعة مثلاً، أو نشوء الكون، أو خلق الإنسان، وغيره من المواضيع التى تتناولها الفلسفة خصوصاً والعلوم الإنسانية عموماً.

وهى قصة خيالية، أو مختلقة، ترتبط – غالباً – بالظواهر والكوارث الطبيعية وتفسيرها، فلقد تصور الأولون المطر إلهاً يصب الماء من إناء فى السماء، والريح إلهاً ينفخها بمرواح، والشمس إلهاً لأنها تضيء الدنيا. وكان الإنسان الأول يؤدى طقوساً للحصول على هذه الأشياء، وكان يعيش مع أساطيره. وتعتبر الأساطير حكايات مقدسة لشعب، أو قبيلة بدائية، وتراثاً متوارثاً. ويطلق على هذه الأساطير أحلام اليقظة، ولها صلة بالإيمان والعقائد الدينية، كما تعبر عن واقع ثقافى لمعتقدات الشعوب البدائية عن الموت والحياة الأخروية... ومازالت القبائل البدائية تمارس الطقوس، وتتبع أساطيرها التى تعتبر نوعاً من تاريخها الشفهى الذى لم يدون.

ومن خلال الملاحم تروى الشعوب روايات عن أجدادها وحروبهم

وانتصاراتهم، ورواية السير الشعبية الملحمية. لهذا لا تعتبر الأساطير تاريخاً يعتمد عليه، لأنها مرويات خرافية خيالية؛ فالإنسان البدائى لم يشغل عقله لتفسير الظواهر الطبيعية، وكان يعتبر ويؤمن بأن الشمس والقمر والرياح بشر مثله، لهذا ظهرت أساطير الأولين لدى البابليين والفراعنة والرومان والإغريق والعرب.

فكل شعب من الشعوب الإنسانية له أساطير وأخبار مقدسة، وكل قرية لها أساطير، وكل قبيلة لها أساطير، فهناك أساطير يابانية، وهناك أساطير فرعونية، وهناك أساطير إفريقية، وهناك أساطير أمريكية وأساطير هندية وأساطير بابلية، كما أن هناك أساطير عربية.

ومن أشهرالأساطير فى الفكر العربى: الغول، والعنقاء. وقد أكثر الشعراء من ذكرهما، وضربوهما مثلاً فى القلة والندرة، كما سيطرت فكرة " الهامَّة " فى الشعر العربى زماناً، وكذلك الاعتقاد بأن طائراً أو دابة تخرج من رأس القتيل، وتظل هائمة تطلب القصاص، وتردد: " اسقونى اسقونى "، ولا تهدأ حتى يؤخذ بالثأر من القاتل، فتروى من دمه وتسكن. وقد وظف كثير من الشعراء والأدباء فى العصر الحديث الأسطورة فى ترويج أفكارهم.

خلط الجاهليون معنى الدهر بالقضاء والقدر، وتطورت هذه العقيدة حتى خضعوا لسلطان (مناة وعوض)، وهى أصنام تعنى الدهر، فصار الدهر إلهاً من آلهة العرب، وكانت غايتهم الخلود. وفى الأساطير العربية أن الملك "ذو القرنين" طمح إلى الخلود، ووصل مع الخضر إلى عين الدهر، ليشرب منها الماء الذى يعطيه حياة أبدية، لكنه منع من ذلك. وطمح لقمان بن عاد إلى الخلود، وارتبط خلوده ببقاء سبعة نسور على قيد الحياة، آخر نسر اسمه: (ليد)، ويعنى الدهر، لكن النسور ماتت، واحداً تلو الآخر، حتى جاء دور (ليد) الذى

مات، وانتهت حياة لقمان.[٢٩]

أما اليهود فقد تغلغلت الأسطورة فى كتابهم المقدس؛ ففى نص التوراة تشابه مع الأساطير اليونانية، بل إن ملحمة الخلق البابلية تتفق مع التوراة بشكل مثير للدهشة، كما اعتقدوا بأن سبب تلوّن السماء بالأزرق هو وجود مياه فوقها.... وغيرذلك من الأساطير التى انتشرت فى الفكر اليهودى وبخاصة فى الاتجاه الغنوصى، وهى كلمة يونانية " جنوصيص gnosis "، ومعناها: " علم "، أو " معرفة "، أو " حكمة "، أو " عرفان ". وتُستخدم الكلمة الأخيرة فى المعجم العربى للإشارة للغنوصية ، والغنوصية حركة فلسفية وتعاليم دينية متنافرة، أخذت شكل أنساق أسطورية جميلة فى غاية التنوع وعدم التجانس، انتشرت فى الشرق الأدنى القديم فى القرنين الثانى والثالث بعد الميلاد. ورغم عدم تجانس أساطيرها وتعاليمها وأفكارها، بل تنافرها، فيمكن القول بأن كل الأنساق الغنوصية تدور فى إطار الحلولية الكمونية، وتنطلق الحلولية الغنوصية عادة من رؤية إثنينية ازدواجية صارمة، ترى أن هناك إلهين، وليس إلها واحداً: إلهاً خفياً خيِّراً (إله العهد الجديد)، وإلَهاً ظاهراً شريراً (إله العهد القديم) والإله الظاهر هو أيضاً الإله الصانع الذى خلق هذا العالم المادى.

والغنوصية ذات أصول يهودية، وأصبحت بُعْداً أساسياً فى اليهودية الحاخامية، وفى تراث "القبَّالة"، وهى فى واقع الأمر، هى النموذج المتكرر والكامن وراء معظم (إن لم يكن كل) الفلسفات والأنساق الحلولية الكمونية (الروحية والمادية) عبر التاريخ، ومن ذلك العلمانية الشاملة، وهى أهم تعبير عن الواحدية الكمونية، وعن النزعة الطبيعية المادية وأكثرها تبلوراً، ولذا

٢٩) ويكيبديا: الموسوعة الحرة

أصبحت كلمة: " غنوصية " فى للغات الغربية علماً على المذاهب الباطنيـــة. وعلى الهرطقات الجوهرية، التى تقف على الطرف النقيض من العقائد السماوية التوحيدية.

obeikandl.com